ملح جاف
فوق إبرة الحقل

متاهـات

نعم نعم..
سوف نعرف كيف نلوِّن السماءَ
بماءٍ
منهمرٍ
وسوف نعرف كيف نقود الضوءَ
إلى متاهاتنا التي لا تنتهي
ونجرجره إلى جزيرةٍ
صاخبةٍ
بينما نعرف كذلك كيف نوضِّئ النهار
على شفا جُرُفٍ هار.

جسـدي

إنه جسديْ
قاتلي!!
سوف يعرف هو الآخرُ كيف يقود الطبيعةَ عبر مسالكها الوعرةِ
ومن خلالِ المخيلةِ
إلى حظيرة اللغةِ
ولا ينتظر أن تفقس أو تبيضَ
عند أية هاويةٍ.

صـرخات الغرقى

ليس للنجمةِ أن تتسمى باسم الحديقةِ التي تعرفها
ولا تعرفها
ليس للبحر أن ينام في حجر امرأةٍ وحيدةٍ
ممدداً رجليه
على أريكة السماءِ الفضفاضةِ
فقط..

عليه أن يتسع لمراكبيْ
وأن يضحك من صرخات الغرقى
ثم يبحث لنفسه
عن حصيرةٍ
باليةٍ
ويترك حصوات الزمن الجافِّ
على شواطئ الوحدة!!

شاي الوحدة

أحيانـًا
أصنع أنا والوحدة شايـًا نشربه
أعلق اليأس أيقونةً في رقبةِ النهار
أصنع من الموت جرسـًا من الرخام على باب غرفتيْ
وأجلس إلى قططِ الفراغِ الهرمةِ
لكي نتناوب الضحك
والبكاء على شفا الوحدة!
ربما
نتلصص على الزمن
وهو يفرك بيديه البنيتين
شجرة الحياة المُرَّة
وينام متواطئـًا مع الغبار
على صخرةٍ
منجرفة.

لا ضوء هنالك

الوحدةْ
كأس مترعة من الألم
الزمنْ

حجر من رخام وكهرماناتْ
اليأس شجرة يابسةٌ على هواء البحر الصخَّاب
لا ضوء!!
لا ضوء، هناك
ليأتي من بعيدٍ
الفجر!!

مريـــم (1)

يا أمنا المباركة
يا شفيعة الربّ
يا سيدة التنهدات الصغيرة
والصبر
و يا صانعة الرغباتِ اللانهائيةِ
عند بوابة الليلِ
فجركِ نهار يحترقْ
صوتك من ذهبٍ مصهورٍ ولماعٍ كذلك
كلماتكِ
من عنبٍ
وشفاعات
يأسك من أملٍ كامل
جسمك ماسات تلمع عبر الآفاق
حناناتك اللانهائية تقف على البواباتِ
عذبٌ سلامك الأكيد
الذي يتخلل المسامَّ
لننضم إلى قافلة الرب بلا مباركةٍ من أحد
بلا سيمفونيات تعزف
وبلا إيقاع
يرن

مثل بحرٍ يغرقُ
أو
صاريات تحترق!!

مريـــم (2)

السلام لك يا مريم
يا أمنا المباركة
يا تعويذة اليأس الخالدة
و يا شجرة الرب المباركة
اشملينا بحناناتك التي بطول طيبتك
وبطيبتك التي تضاهي الألم
عينك نافذةٌ على حديقة الرب المباركة
أطراف أصابعك كلها شهواتٌ وأمطارك ما لها من مثيل
إذا ناديتُ عليكِ أنتِ
دقت نواقيس الفرحِ
بالليل
صلواتكِ
صحراوات تقهقه وحبات من الخرز والدمع
بكِ يهتف النهارُ
ومن خلال شفتيكِ
يخرج الذهب الحار
أيضـًا.

خيمة الرب

ما هذه العزلةُ التي تتكدسُ
ما هذه النوارسُ التي تموت في الأعالي
شموسك قاسيةٌ
وصدى صوتك

عظاءات
وأفاع
آثارُ نعليكِ
طلاسمٌ لسحرةٍ قدامى
وكتابات
لأنبياء من العهد القديم
في الأركانْ
ينتصب الزمنُ كشجرة واثقةٍ
تحت خيمة الربّ التي لا تقهر!!

مطرقة الفجر

القوارب تأتي وتذهب
البحر نفسه يستيقظ وينامُ
الفجر يدق على الأبواب
بمطرقته التي تشبه يد الرب الهائلة
الريح تأخذ بوصلتها الأخيرة وتسافر
عبر الجهات الأربع
لا لن تصل تلك الريح اللعينة
إلى بحرٍ إلا لتدخل في بحرٍ آخر
ولا تلقى الشباك أبداً
أنتِ علامة على الضوء
والضوء
قمرك الذي يسيل على الجدرانِ دائمـًا.

مريـــم (3)

نعم
كنت أنتظرك
أنتِ أيتها الأم المباركةُ

يا شفيعةُ
إذ يعتم الليل
وينطفئ كلام الأرض!!
ولأنك
كلمة الربّ الأكيدةُ وعملته الغير مزيفةٍ
ولأنك شجرة الروح المصوبة نحو السماوات دائماً
والمبللةُ بالخطيئة حيناً والخطأ أحياناً
لم أكن أسمع إلا صوتكِ
عبر السماء الواسعة التي تصغي وتنحدر
ومن خلالِ مطر الصحراواتِ
الأحمر
وظلمة السديمات
اللانهائية!!

صناجات الحصى

فيما نعرفك من آثار الحصى
والليل
فيما نعرفك من خلال نعمة أصابعك
الرّنانة
كلماتك تشبه البرق والرعد
فمك يشبه قبلة الرّب المرسومة على الأحجار والحصى
وعلى حرير النجوم الفضفاضة كذلك
ليديك
نغمة الموسيقا
ولأصابعكِ
صناجات
الأبد
والأزل.

وشيجة

وحيداً
أجثو على ركبتيَّ في مواجهة الرّب
حيث أستند بذراعيّ على الصمتِ
حيث الكلام في اللانهايات
يشبه عربة الرب المطهمةَ
وغناء الفرشاتِ الضخمةِ
على شجرة الأبدية
المسيجةِ
بالموت
والوشيجة.

عبــور

بقدمينِ فارهتين أعبرُ ممرَ الوحدةِ الشاقّ
وأرتكن
على الهاويةِ
مثل قمرٍ منجرحٍ وفمٍ بتراتيلْ
بلا سلام واحدٍ للقلب
وبلا شجرة واحدة للروح
بلا ندم أخير
على سلامِ العالم الحيَّ.

أغنية المحارب الأخيرة

أيها البحرُ
يا ندم الرّب الحقيقي
و يا دمعته المنكسرةْ
أين ذهبت كل هذه المراكب
أين ذهب كل أولئك الغرقى

أيها البحرُ
يا ظل المسافر الأخيرْ
و يا أغنيةَ المحارب المتمثلةْ
لا نجومَ لك
ولا خلاص لي
سوى ندمك الحقيقي الذي ينحت
جسدَ الشواطئ
بشفتيه
المستبسلتين.

تألق

في الصمتِ
تتألق الوحدة
وينهدل الزمنُ
على صخور
الليل
الصلبةِ!!

فتحي عامر أيضـًا

نحن الذين صنعنا من الصمت
أرغفةً كسيرةً
على موائد الرّب الرّنانةِ
لكي نجلس
إلى جوار اليأسِ على مائدةٍ
واحدةٍ
وتحت شجرة الزمنِ
المتحركةِ
نترك لفراشاتنا الميتةِ

أن تضحكَ
نحن الذين كتبنا بالدم
والدموع
ضحكاتِنا التي تشبه الأسى
في ليل الفراشات
المقموع
نحن الذين سرينا – وبعيداً عن فتنةِ البحر –
لكي نحييّ إخواننا الذين ماتوا
وهم يجترحون نسيانهم الأخيرَ
حتى يكشفوا لنا عن سلامهم الذي يرقد تحت
صخرةِ الموتِ المسننةِ
لشدّ ما يألف الهواء الندمْ؟!

مجّدوا الألم

مجّدوا الألم
لأنه يصنع الحياة
مجّدوا اليأس
لأنه يصنع
الألم!!

أيها البحارة

لا ممرَّ لهذا البحر
ولا سكةَ لتلك السماء
ابحروا بعيداً أيها البحارةُ باتجاه
العاصفةِ
انقذوا سفنكم الراسية من الغرق
والنسيان
لسوف يبتلعكم الموج

الموج الجبار الهائل
في مياه بَرَكَته الأزليةِ!!

أنهارنا التي تلمع

سنواتنا التي تلمعُ عبر المدّ والجزر
مثل ضغينةٍ مدويةٍ
أنهارنا التي تلمع بالملحِ
والحدادِ
كلماتنا المستعمَرةُ مثل جزيرةٍ
لكافةِ الطغاةِ
حلوقنا المحشوة بالرمادِ
والشوكِ
صلواتنا التي تستنفر اليأسَ
وتنطفئ على شفا ذاكرةٍ
مسننة
عزاؤنا الأكيدُ الذي لا يمجَّدُ
حكاياتنا التي تتعدد عن مزايا الربح
والخسارة
لحننا الجنائزي الذي لا يتوقف أبداً
أرضٌ صامدة
تحت سقف الريح
المحدّبة!!

يقنعنا الهواء

كل يوم
يقنعنا الهواء
بعبثية
العالم.

حديقة الفراشات الميتة

تلك خاتمة النهارْ
ليكن كل هذا الهواء الكريم
شهادة ميلاد
لشفتيك الكهرمانيتينِ
ليكن كل هذا الليلكُ الزاهي مِلك لعينيك الإلهيتين
قمرك الأكيدُ مثل أبجدية سومريةٍ
قصتك المدوّرة حديقةٌ لفراشاتٍ مُسَوَّرةْ
لتكن نجمتك السوداء هذه
فَلَكُك الذي لا يتوقف
عن الدوران أبداً
لتكن كل تلك الأرض
أرجوحةً لقدميك الملكيتين
بالتعب والرُّشْد.

الشمس المتألهة

هذه الشمسُ المتألهةُ بنصف عين
هذا القمر الراقدُ
إلى جوار نافذتك المبجّلةِ
لم لا يمكنها جميعها
أن تحاصر
ألمك النضّاح
هذا؟!

صـلابة

سوف نكتسبُ صلابتنا اللامعةَ
من خلال
عملنا المشترك.

معـرفة

لم يلدنا الموت
فقط
كبرنا
بمعرفةِ النعمةِ.

ذلك هو العالم

صحراوات من ندم
بيوت من أطلال
وحيوات
غالبة!!
ذلك هو العالم
وتلك -إذن- متاهة الروح
التي تقعُ في الشّركْ

الموت السيد

سنواتنا المتوحشةُ
سنواتنا اليقظة الجافةُ
أرض
راسخةْ
المجد للموتِ السيد
المجد
للحياة السيدة!

زجاجة السماء

الأيدي الكسيرةُ الناعمةُ
الأيدي الكثيفة السوداءُ

تفتح وببطء
نوافذ السماء العليمةْ
الزمن
الرّنان
ذو الأيد
يكنس
وبرجاحة عقلْ
زجاجة السماء
الأكيدة!

جديرون بالحياة

جديرون بالحياة
لأننا نتشبث بالجذرِ
جديرون بالعالمِ
لأنه
ما من حياةٍ
خالدةٍ!!
ما يوحِّد اللهب
هو ما يربط الجذر
بالجذرِ
حياتنا التي من نعمةٍ خالصةٍ
قمرنا الذي من عينٍ جامدةٍ
نهارنا الذي من ليلٍ وحصى
ليلُنا الذي من حجر ودمْ
دعواتنا التي تصاب بالغبطةِ مثل طبلٍ بصنّاجات
شفاهنا التي تصطك بالعدم
أصابعنا التي تقبض على اليأسِ
مثل سبيكةٍ من الذهبِ

جراحنا التي تسوّد مثل غابةٍ من الأرجوان والفحمْ
ونحفرها مثل نبع
جديرون بالحياة
لأننا نتشبث بالجذر
جديرون بالعالم
لأنه ما من حياةٍ
خالدة!!

تماســـك

تماسكي أيتها الروحْ
فلم يعد ثمت شيء
لا أملَ في السلام الخالصِ
ولا أملَ
في الحقيقة الغالبةْ.

مواصــلة

سوف نواصل السعي
بنفس الطاقةِ
وقوة الروح
بنفس لطافةِ الجسدْ
وقوة
الجذور.

لا أحد لا أحد!

لا أحد!
لا أحد
يعلم حقيقة ما يجري هنا
أو هناك

كمن يتسلق جدار الروح الأعزل
كمن يمسك بيديه الغرينيتين
عن العمل
طاقة الإبصار الوحيدة
لمجموعة من الفئرانِ الضالةِ
وخُلدِ الماءِ
كمن يهب الضوءَ
حيويةَ الإمساك بالسلامِ
والسكينةِ
كانت روحي التي تصغي
وبضراوةٍ.

تقوى الجذور

ينهزم الليلُ
ويتعب النهارُ
الحقيقة بألف يد
والفمُ
– الراسخ –
بنصف عين
تقوى الجذور
وشهادةُ الحواس
كلها
أيادٍ تعملُ.

الطبيعة السيدة المرحة

سوف نتعرف على صلواتنا الصامتة التي تؤديها الطبيعة نيابة عنا
الطبيعة العاقلةُ
الطبيعة المجنونةُ

الطبيعة السيدةُ المرحةُ
لا ثمرةَ في الحقل
ولا عين في الشمس
والليل يرقة
بألف فمْ
هذا النهارُ
منجل حصاد
لصديقه الزمن.

مصنع الآلهة الجاف

بعيونٍ
شرهةٍ
وعالمةٍ
تطبع السماءُ قبلةً أخيرةً
على الأرضْ
وهأنذا
لم أزل أواصل السير
ومنذ أكثر من عشرة آلاف قدمْ
لم أقطع سوى بوصة واحدةٍ
ما بين صخرة الأمل وشفتي امرأةْ
ماذا يفعل هذا القمر بعيونهِ الكهرمانيةِ الأثيرةِ
وهو يجلس قريبـًا
من مصنع الآلهةِ
الجافّ.

يتشكل الألم

سوف يتوقف الزمن على شفا حفرة من الألم
وسوف يقول لدقائقه المنتصرة:

هنا
يفقد النبعُ دورتهُ وهناك
سوف يتخلى الشجر عن ليلهِ
الأخير
المعولُ والبلطةُ
يدُ الإنسان المكفهرْ
السكينُ
والخنجرْ
حضارة الوردةِ الداميةْ
أوقفوا
التاريخ
على عجلة الخطأ
وحده يتشكل الألم على الأرض
وتلك – هي –
هزيمة الروح
الكاملة.

يخرج الواقع من الخط

النهارُ
بتفجراته اللامرئيةِ
البحر بانغماره المدوخ بالزبد
واليودِ
النبوءة الرثة للأحجار
ملاءة الخريف الملونة بالملاط
والمطرْ
سوف يتوقف اللون عن تقديم أي عزاءٍ
للشمس
وسوف يخرج الواقع عن الخطِّ

يا للحظ الأعمى
للبحَّارْ.

عين السمكة

رغم كل شيء
سينبت النور في الأصابع
رغم كل شيء
سيخرج الفجر
من حدقة الصخر
رغم كل شيء
الواقع أقل حكمة
من عين السمكة!!

المجد لله في الأعالي

المجد لله في الأعالي
وبالناس المسرة!!
ما الذي يجعل السمكةَ تبكي
ما الذي يجعل النهار يتوكأ على عكازه
في الليل
وينام في غرف الدفن كشحاذٍ وأعمى
ما الذي يجعل الوردة تعترف
وحتى الرمق الأخير أنها سمكةُ الحظ العاثر
ما الذي يجعل الشجرة تنقِّى رائحتها من الألم
ما الذي يجعل الشمس تشعر بالحزن دائمـًا
وتنام على المنحدرات مجرحةً
ما الذي يجعل الهواء أشد كثافةً حتى من الزجاج نفسه
اربطوا ذراعيَّ في جبل الصهد المبجّل
جففوا روحي المسيجةَ بالندم على صخرة الوخزِ هذه

كللوا رأسي المتوج بالشوك والندى
ما جئت لألقي سلامًا على الأرضِ
سلامًا أيتها العاهرةُ المقترحةُ
يا أمنا الرؤوم
سلامًا
أيها الهواء المتوجُ
يا سلمنا المكسوْر.

قتامة الحزن

سأجعل روحي الأشد قتامةً من الحزن
تكتب عن الحزن ذاته
سأجعل قلبي – المبجّل – يتناول طعامَ إفطاره مع الملائكة
والشياطين على حدٍّ سواء
وسأسمح لهذه المنضدة الملوثة بالنفايات
والدم
أن تنام فوق روحي الجريحةِ
وأقول لهزائمي المتواليةِ
أنتِ ملجئي الوحيد.

التوقف المفاجئ لكل عمل الرب

سأكنس هذا النهار بيديّ
وأقول للزمنِ
ابتعد عن مائدتي أيها المراوغ اللصُّ
ماذا تعني كل هذه الوحدة
الضحكة الهازئة لرجلٍ يحتضن الهاوية بكلتا يديه
الافتقار الحميمُ لكل ما هو إنسانيٍّ
ومبجلٍ
التوقف المفاجئُ لكل عمل الربِّ

السماء العاكفةُ على النولِ
والنوى!!

سنتسامح مع الألم والرغبة

سنتسامح مع الألمْ
لأنه لا يعرف ما هو الخلاص
ولا ما هي مادّته
سنتسامح مع الرغبة
والفعل
لأنهما
لم يكونا جديرين وكاملين
بكل رغبةٍ حقيقيةٍ
وفعلٍ حقيقي.

الفراغ المباغت

سوف نتوقف بإزاءِ الفراغِ المباغتِ
ونقول له:
أنتَ يا نبتة الظلام المرّة
لِمَ كنت هنا بالأساس
ولم تكن هناك!

تأكيد

سننتصر على الشرِّ
لأننا بشرٌ من عجينة مغايرة
ولأن الشرّ في ذاته
غير موجود
وسننتصر على الخير كذلك
لأننا بشرٌ

وفانون!!
الشرّ
والخيرُ
علامتان أكيدتان
على وجودنا الإنساني
المضمحلْ!!

مريـم (4)

هي الاسمُ
وهي المسمّى
لها الوقتُ والفوتُ
ولها البدءُ
والانتهاءُ
تحت رايتها يقف كل علمٍ
وباسمها تنبض كل شفةٍ
ما أورقَ على شجرتها غير اسمائها التي لا تحصى
وما انحرفَ عن سمائها
أي طيرٍ!!

آيتها الليل

إليها
طار كل واقفٍ
ومشى كل طائرٍ بجناحيهِ
صوتها يأتي من الجهات كلها
وصورتها تنطبع في الرئاتِ والأصابعِ
ما رآها أحدٌ سوى بالخواطرِ
وما سنحت على قلب كل أحدٍ سوى بالظنّ
هي الحصى

ومنجل الذهب الحصَّاد
هي الليلُ
وآيتها الشمسُ
هي النهارُ
وآيتها الليلُ.

شجرة الرئم

لها حَجَر الفلاسفةِ
ولها
غناءُ المنشدين
هي شجرةُ الرئم
وأنشودةُ الإثم
في صحراوات البراءة التامةِ
ونقا الآل والدّلالِ
رؤيتها غيبْ
وغيبها مشاهدةْ
لها الظاهر المتلون في كل لونٍ
وهي الخبيئة عن كل لونٍ
هكذا
هي الاسمُ
ولها المسمى!!

قبائل

أسماؤها
أشياؤها
أحيانًا
تكتب الكلمةَ بالحرف
وتكتب الحرف

بالنفْس
وتخلق من النفَس ألف طائرٍ
وتخلق من كل طائرٍ
قبيلةً
من الحروف
واللظى.

طائر الكلام

منها ما يكون طائر الكلام
ومنها ما يكون طائر الحروفْ
منها ما يكون طائر البهجة
ومنها ما يكون طائر الظلمة
وعلى تلكم الشجرةِ
تقيم كافة القبائل
ودائمـًا
ما تتقاتلُ كافة الأسماء!!

كلمة

العينُ كلمة
والقلبُ كلمة
الروحُ كلمة
والجسم كلمة
اللهُ
كلمة
والطبيعةُ كلمة
الإنسانُ كلمة
والجمادُ كلمة
الألف هي عين الياء

بلا منازعٍ
والياء هي نفس الألف
وما ثمّ فرق
سوى في الصورةِ
فقط
تلك أنشوطة المرايا.

العبارة بمفردها

أحيانًا
يتعرف الحرفُ إلى الحرف
فتصير الكلمةْ
وتتعرف الكلمةُ إلى الكلمةِ فيكون المعنى
الحرف بمفرده قيدْ
والعبارة بمفردها
ساحلْ
وما ثمّ هنالك إلا بحرْ
هلكَ الساحلُ
والموجُ!!

في مثل هذه المتاهة

هناك كلماتٌ بلون الدم
وهناك كلمات بلون الحصى
هناك كلماتٌ بلون النار
وهناك كلماتٌ بلون النور
هناك كلمات بلون العقيق
وهناك كلمات تشبه الحجرْ
ماذا يفعل العاشق
في مثل هذه المتاهةِ؟!

أسماؤها أشياؤهُ
وأشياؤها
أسماؤهُ
يا للكِ من ريحٍ صرصرٍ
وعاتيةٍ؟!

الحجر الكريم

قالت لي:
ظاهركَ
في كل شيء
في النبتةِ
ومثلما يكون في الحجرِ الكريمِ
في الفلك الأطلس
ومثلما يكون في النملةِ المتربصةِ
باطنكَ
هو الظاهرُ
رغم حجابِ السوى
وظاهرك هو الباطنُ
رغم غلبةِ الظنّ!!

سرابٌ بقيعةٍ

قالت لي:
لا علامةَ لديك فنعرفك بها
ولا مكانَ عندك
فنقصدهُ
تعب الليلُ من سهرك
وارتجّ على النهار من تقلباتك وشهواتك
أليس لك عين شمسٍ واحدةٍ

أضلنا السيرُ في الليل
برقك خُلّبٌ
وما ثمّ سوى سرابٍ
بقيعةٍ
يحسبه الظمآنُ ماءَ.

يا لك من طاغية

قالت لي:
في الليلْ
آتيك خفيةً فلا أجدك ومثلما تلوحُ لي ألوحُ لكْ
وبالنهارْ
آتيك متلصصًا فلا أكادُ أبصركَ
أطرقُ على بوّاباتك السبع ومدائنك التي لا تنسى
إلى أن أفقد السمعَ والبصرَ والكلامَ
وأقعَ في الخلطِ
فتلوحُ لي
من وراء كل
وجهٍ
يا لك من أثيمٍ
و يا لي من مُرَاودِةٍ؟!

خارج الزمان والمكان

قالت لي:
لِمَ حَجبت نفسك عني
إرادتك جبرٌ لي
وإرادتي اختيار لك
وما أنت لي
مثلما أنا لك

لِمَ حَجبت نفسك عني
ولِمَ آويتني في بيتكُ وأخرجتني عن مداراتك وأهلك
ما هو زمنك بالأساسِ
ووقتك ما له
من وقفةٍ
أنت خارج الزمان والمكان
لأن يديكِ المدربتين هما اللتان تصنعان الزمان
والمكان
وتمحوان المكان
والزمان
في نفس الوقت
حنانيك أيها السيد
حنانيكِ أيتها السيدةُ.

انصهار

أنا ترسكِ
وأنتِ حربتي الوحيدة
أنا قوسكِ
وأنتِ سهامي المصوبة
جرَّتك
وفخاركِ أنا
منجلك
وآلة حصادك أنا
أنا غيمتك التي لا تهطل
وأنتِ
مطري المنهمرْ
أنا قوسك المشدود بالسهر
والحمى

وأنتِ يقيني المندثر
شديني إليكِ
لئلا أنكسر
أيتها المجوسيةُ المصبوبةُ
من الجحيم
والصخرْ!!

أرض ملوحات

كلماتكِ
حروفٌ
مضمرة
وكلماتيَ
أرض ملوحاتْ
أقذف إليكِ بالجسد فتعلقينني على أنشوطاتك القويةِ
إلى أن ينقضي الليلُ
الليل عليّ سرمد أبداً
وهو عليك سماءٌ ووشاحاتْ
وهأنذا أتلصص على النهار من فُرَجِ البيوت
ومن خلال أصابعكِ الرّنانةَ
فلا يخرج لي سوى الجمر
آما أنوارك
فشهبٌ
مصوبةٌ
ونيازكُ!!

أيتها السوسنة التي تشبه عمل الرب الأخير

أضمك بين شفتيّ
وأقضمك قطعةً قطعةً

إلى أن يخرج إليّ صوتكِ
وصورتكِ
فأقف أمام قلاعكِ القويةِ
وحصونكِ
المدججةِ
كالجاهلِ
أنا مأخوذ بالرسوم والتقاويم
وهأنذا أرفعُ أنقاضك المنجرفة
بيديَّ – المستسلمتين – إلى قمم جبالكِ الضاريةِ
وأرضكِ الرحبةِ
المسيجة بالوحوش والضواري
أنتِ الظاهرةُ لديّ
أيتها السوسنةُ التي تشبه
عملَ الربّ
الأخير!!

الزيتونة والمشكاة

أهي المهالك لكِ
أم أن مسلكك الرّدى
شمسك منارة على كلِّ طريقٍ
وشمسي لا تقف إلا على كثيبٍ مهيلٍ
غربتيْ
سكن لكِ
وغربتك
سكنايَ
أنت أيتها المنجردةُ
ما لكِ من مشكاةٍ

وما لي من زيتونةٍ
إحاطتك بي
تفوق قدرتي على الفعل
واحاطتي بك
تتفوق على السوى
من يسكن في منزلك أيتها المأخوذة بكِ وليس لكِ
من أجيرٍ
وحامل مشكاةٍ
سوايَ؟!

سرمدية اللذة

إذن
تأتيني بالليل والناس نيامُ
فآتيك ضحوةً
وعند مضرب كل فجرٍ
أعلِّمك بسيماكِ
فتعلميني بحروفكِ وكلماتك
عيني عليك
وعينك عليّ
رغم ما بيننا من الأزلِ
إلى سرمدية اللذةِ
من هاجس الحكايات
وحتى مطلع شمسٍ حمئة
لن أشرك فيك أحداً
ولن
يشاركني فيكِ
سواكِ.

ما بين رمز ورمز

أنا صورتك المركوزةُ
في الطرقِ
وعلى حواف اللِّحاءات
وأنتِ صورتي
المبثوثةُ في كل خليةٍ
وعلى طرف كل حصاةٍ
قائمة أنتِ لي بالمرصادِ
وليس ثمة ميثاق بيني وبينك
سوي ما تتطلبهُ الروح من الشهادةِ وما يعرفه
خيالك الذي يتغلغل في كل رمزٍ
سأكتب ما تبيتين لي
وستكتبين ما أبيِّت لكْ
وها هو زيتُ المشكاةِ
قد أشرف على النفاذ!!
فيالك من ريحٍ عاتيةٍ
و يا ليَ من سراجٍ
وهاجٍ.

صــوى

سأقول لك
من أي البلاد أَنتِ
وما هي وجهتك
وما ولّاكِ
عني
وما هي قِبلتك يا شفيعةُ
هل أنتِ مدينة الرغبةِ
أم بيت العصمةِ

والطاعة؟
هل أنتِ سرمدية الأنوثةِ
أم أبدية اللذةِ
وما بين سرمدية الرغبةِ
وأبدية اللذةِ
علاماتٌ وصوى
فراتك
زجلٌ لطيرٍ يحترقْ
وفراتيَ
ماءٌ
أجَّاجْ!!

ظهيرة الآل

لماذا
تتركين على شفتيّ طعمَ ملحك الحارّ
ورائحةَ حرائقك
وها هي ذي شجرتك العاليةُ
تنتصبُ أماميَ
وعلى مرمى جحرٍ
ولا ظل ليْ
أنا في متاهة صحراواتك اللانهائية
ألمع مثل الآلِ
والسرابِ
وبينما يقصدك الهلكى
والمتعبون من كل فجٍ
أقف أنا في العراء
والبردِ
إلى أن تحل عليّ عطاياك

أيتها الواهبةُ
الموهوبةُ
يا شجرةَ الإلِّ
و يا ظهيرةَ الآلِ.

جلجثة

أردكِ وأنا على شفا الماء
وأرتكن إلى حقيقة اسمك
فأسمع بشبشة النزولِ
ودهش الرؤيا
وصليلَ الضحكات التي تجلجل في الحلكةِ
ليس للظلام سوى معنى واحدٍ
هو حقيقة النور
وليس للنور اسم
سواكِ
أنتِ.

الماء الجارح

طعمك بلون الماء الجارح
و طعمي بلون الأسى الرنانْ
كافة مسالِكك وعرةٌ
وعلى بواباتك المسيجة باللظى
أسمع دبيب حرسك
ولمعان شهبك
لا أهل ليْ
وسكناي عندك
وكأنما مسافر بجراحات
أحمل عصاي بيميني

وبشمالي
أجرجر متاعي
وكأنكِ سرابٌ بقيعة
يحسبه الظمآن ماء
أما ماؤك فلا هو عذبٌ فنشرب
ولا أجاجٌ
فنتلظى.

حشرة الزمن

الزمنُ
حشرة تقرض وببطء
كل ما عملته الأيديْ
لم يكن لنا من عُملةٍ غير هذه الساعات
لكي ننشر على صارياتها الصدئةِ
أرواحنا التي تعملُ مثل فخاراتٍ
تتكسَّرُ
على عتبة البحر
الذي يضيءُ!!

حطاب الموت

الكلماتُ
التي نربيها – كل صباح –
تحت أسقف بيوتنا الواطئة الضالة
تتحول كل يومٍ
إلى نبات ظل راسخةٍ
لكي تسهر هي الأخرى – وبمفردها –
على شرفاتنا المغطاةِ
بالألمِ

والندم
هل لهذه الكلمات
أن تثأر من الزمنْ
ومثلما يفعل حطابُ الموتِ
الأعمى
بآلتهِ التي لا تتوقف
عن السمعِ
والطاعةِ.

انصهار

ذات مرّة
سيكون الألقُ للنهارِ
وسوف تكون الوردةُ
نفسها
من نصيب الألمْ.

تبدُّد

إذ
يتبدّدُ الهواءْ
يظل القاع عالقـًا
وجريحـًا
بقطرةِ
الماءِ
التي تتفحمُ.

سكنى

سوف يتوقف الغيم
على إناء تلك الشجرةْ

كهفٌ وحيدْ
تسكنه الشمسُ:
القمر.

صلابة الوردة

القططُ التي تتفحم على نوافذ الروحِ الهرمةِ
أجنحةٌ لفراشاتٍ ميتةٍ
سوف نتسلق وبعفويةٍ
صلابة الوردةِ
من يملك أن يقول لملاكِ النظرةِ الأخيرْ:
من ثقب الإبرة
يولد البحر
والبحرُ
هو نَفَسُ الطبيعةِ
المفخخةِ.

إبرة الحقل

بيدٍ مسننة تكتب الريحُ
وبيدٍ مشتعلةٍ تخططُ العاصفةُ
أيادٍ تعمل
و أيادٍ
تطحن الذاكرةْ
ملحٌ جافْ
فوق إبرةِ الحقلْ.

نـزوع

ينزع الجسدُ إلى الوحدة
وتنزع الوحدة – إلى مرايا الغرف المقبضةِ

سوف تظل هذه الجدرانْ
بزواياها الأربعْ
علامةً
على فعل الزمنْ
الذي ينزعُ إلى
التحللِ.

هواء الشجر الأسير

تهتف النجمةُ المستقيمةُ
لقمرٍ وحيد
على إناء الليل البردان
إذ ذاك
يقف ظل الوردةِ
كشاهدٍ أخيرٍ
على التغييرات التي تطرأ وبكثافةٍ
على هواءِ الشجرِ
الأسيرْ.

سلامـًا أيها الحجر

الحجرُ
بأغلاله
وغلالاته
نفَس أخيرْ
لهواء الغرف المقبضة
لا شيءَ
يسبر أغوارَ الجسد الرّنانْ
غير تصدعاته التي تتكفلُ بنشارةِ اللذةِ
من على مائدةِ

الوحدةِ
سلاماً لك أيها الحجرُ
بأغلالكَ
وغلالاتكْ؟!

مجد الشواطئ

ها هي السماء الواطئة
تلتف على أشجار الروح مثل سرطاناتٍ هائلةٍ
وعلى طاولات الزبد والرخامِ هذه
سوف ينحسر البحر على إيقاعاتِهِ التي ترتفعُ
مثل موجةٍ ضريرةٍ...
أي علامةٍ على مجدِ الشواطئِ
بينما يعزف الموجُ أسطورته اللانهائية
بأصابعَ من زبدٍ
ترتعشْ!!

أيها الهواء لا تذهب بعيداً

لا تذهب بنا بعيداً إلى هذه الناحية أيها الهواءُ
أيها الهواءُ لا تذهب بعيداً
فسوف نكتشف كيف يكون الهواء عميقاً في كل تلك الناحيةِ من الليلِ
أن تلك الأيام التي تتكدسُ
ما هي إلا جثث متراكمةٌ
لحيوانات ضالةٍ
في جسد الليلِ الميتِ
بينما صخوره التي تنحدرُ
تسقطُ
وبضراوةٍ
فوق فوّهة العدمِ الشرهةِ.

أبــداً

أبداً
لم يكن لهذه الشجرة أن تكتب على الفراغ:
الزمن بلا تاريخ
والماضي قد يعني الحاضرُ
والحاضرُ
قد يعني الماضي
أبداً
لم يكن لهذه الكلمةِ أن تتفوهَ بالحكمةِ
تلك التي يعزفها الجذرُ
ثمة هواءٌ يتأهب لليلٍ
لا غنى عنه!!

امتثـال

من ذاتِ اليد التي تحمل الحربةَ
يخرج النهار على عجل
إلى ممرات الهزيمة والنصرْ
الليلُ بنجومهِ الأخاذةِ
كنظرةِ الأجيرْ
مغفلةٌ من الاسمْ
أخيراً
يمتثلُ الظلُّ للنبتةِ.

أيها الموت الحطاب

من ذلك الاسمْ
يولد من جديد اسمٌ آخر
من تلك السماء الموضوعة
تخرج سماوات أخرى غير موضوعةٍ

من تلك الوردةِ
الجهمةِ
تنبت وردةٌ جديدة وغير جهمةٍ
لا شمسْ
ولا قمرْ
فقط هاويةٌ تتربصُ
طوبى
ليدك التي تعمل بأنشوطاتٍ وخطاطيفَ
أيها الموتُ
الحطابُ
بلا مساندةٍ من أحدْ.

قاب قوسين

هل أردُ الماء صفواً
فلقد خلعتُ عنى النعلينِ وما أحمل سوى متاعب الطريقِ
وقلة الزادِ وبُعْدِ السفر
أرى طائرك بجناحيه الأبيضين يقف منجرداً في الأركان
وها هو ذا يومئ ليْ وما بيننا من إشاراتٍ سوى الوصلِ والقنوطِ
وإذ أهمّ
ينتقل من وادٍ غير ذي زرعٍ
إلى وادٍ غير ذي زرع
ومن خطوةٍ نائيةٍ لسفر دانٍ إلى خطوة دانيةٍ لسفرٍ ناءٍ
تقع المسافة ويبدأ الطريقُ
فلا أستظل إلّا بيْ
وأفرد مظان الرؤيةِ
ومراصدَ السككِ
وأتتبع خيالاتي الهائلةَ الضحلة
وكأنما وقعت في الشركِ

وحاق بي النسيانُ
فتأخذني حيث تشاء ولا آخذها حيث أريدُ
فبين المشيئةِ والإرادةِ
هولٌ غير مأهولٍ
وسماواتٌ بلهب وشواظٍ
إلى أن يشقق الحلق من العطش
وتنعدم الرؤيةُ
وأقف في الفصلِ والوصل ولا تلوحين إلا ليْ
سهرك لا يحلو سوى والناس نيام
وعلى طاولاتيْ يأخذ المجازُ حقيقةَ الرؤيةِ
ويصبح الماءُ
قاب قوسينِ!!.

طائر الموت الأخرق

أيها الموتُ
كن رفيقًا بيْ
ولا تأتِ سريعًا
مثل طائرٍ أخرق
فقط
توقف أمام منزلي
مثل سيدٍ مهذبٍ تمامًا
واركن درجاتكِ الهوائيةَ
وخذ معاولك
وقفازاتك
وكافة لوازمك
إلى حقلٍ مجاورٍ
وانتظر
انتظر

لبضع دقائق أخرى
ريثما تجفّ سراويلي
وانتهى من إعداد قهوةٍ لي
ومائدةٍ لآخر أصدقائي الموتى
وأهيئ سريراً لتلك الشمسِ
الخالدةِ
وربما
أكتب قصيدةً تشبه هواء
هذا العالمَ المتوحش!!

خبزنا كفافنا

الألمُ يجري على الأفاريزِ ويقفز من النوافذِ
الألمُ هذا الهواءُ الملبّدُ بالمكرِ والخديعةِ
مثل أسماكٍ ميتةٍ
يزيح أغطية الليل البردانةَ حتى
عن أطرافِ الليلِ الرطبةِ هذه
الألمُ يحوّل الخبز إلى سلاحفَ وتنانينَ
ويجعل الأعضاء التناسليةَ
تنمو أكثر من اللازمِ
ومثل حقلٍ من النباتات الشوكيةِ
الضوءُ – نفسهُ – يتسللُ هاربـًا من الضوءِ
آهِ
يا روحي التي تتسعُ لألفِ قبر
و يا قلبي الذي يتسع لألفِ هاويةٍ
ويقيم – بمفرده – على حافّة الأودِ
لِمَ كانت كل هذه الساعات الهَرِمَة
أيها القمرُ يا خساراتي المتواليةُ
لِمَ كانت كل هذه الرحلة – المربكةِ – بالأساس

أيها الليلُ يا هزائمي الأكيدة
لا صوتَ هناك لطائرٍ حتى ولو كان أعمى
ولا حنين لشجرةٍ حتى ولو كانت زائفة
صارت الشوارع
لا تتسع حتى لروحي الدبقةِ
أو حناناتي الميتة
المتوحشة
ومثلما تتسع لملايين الحفر والمكائد
وملايين النجوم التي تنطفئُ
يا إلهي
أعطنا خبزنا كفافنا
خبزنا كفافنا
أعطنا
يا إلهي!!.

عن محمد آدم برواية محمد آدم

لكم كانت حياتك يا محمد آدم
خربةً
وخاويةْ
أنت يا قائدَ جيوش الفوضى العارمة وكافةِ المدنِ المحاصرةِ
بشكَّتك الخشبية هذه
سوف تقف على كافة الأرصفةِ المبللةِ بالخديعةِ والندمِ
لتقاتل في صفّ الخسارات الدائم
ولتكون بشرائعك المنقرضة هذه
وسُنَنك الباليةِ
البطل المأساويّ في ملهاةِ التاريخِ الضخمةِ
أنتَ
يا مرساةً ترفع مضخاتها الصدئة على صَدَفةِ العدم الرّنَّانة

أعرفُ
أعرفْ
لقد كانت حياتك الموقوفةُ على الزنازين والسجنِ
مثل حصاةٍ متدحرجةٍ على سفحِ جبلٍ
أو قشةٍ بين أمواجٍ بأنيابٍ
ومخالبَ
أنتَ
أيتها الكلمةُ التي ما خرجت من بين شفتيْ إلهٍ قطْ
بل
من فوَّهةِ فجيعةٍ!!

زنجي

الأسودُ المثيرُ للضحكْ
الموسيقيُّ كثيرُ الحركةْ
اللونُ التراجيدي
للعالمِ
صورة العم توم المطيعْ
ذلك الزنجي الذي يرثُ الأرضَ
ويهبُ السماءَ حيويتها المفرطةْ
أنتَ
أيها الزنجيّ الأسودُ
المثيرُ للضحك
سوف يكون لك – وفي نهاية الأمرْ –
حنجرتك الملونة
التي تعرف كيف تقضمُ
سكينةَ الكراهيةِ
بفمٍ
ضاحكٍ.

بيلاطس البنطي

كيف نصل إليك أيها الآبُ السماويّ المبجلُ
الجالسُ خلف سحبك الرنانةِ
المدججةِ
بالشهبِ
وملائكتك الشدادِ الغلاظِ
أنت!
أيها السيد الآب المدشَّن بكل قوةٍ
والمحاط بكل مشيئةٍ
سماواتك السحيقة الغور مثل قيعانٍ
بألف بحر وما لها من قرار
نائيةٌ
وقاسيةٌ
كصحراواتٍ تقهقهه بألف فمْ
وتصفر فيها الدببة المرنةُ
والسحالي الصخَّابةُ
وسطاؤك كثيرون ولا يحصى لهم عدّ
بدءاً
من إبراهيم الذي وفيّ
وترك امرأته الأثيرة كالزمردة
في العراءِ
والبردِ
بلا كسرةٍ واحدةٍ من الخبزِ
أو حتى
قطرةٍ من الماءِ
ومروراً بمعجزتك البحرية
يونان الذي ابتلعه الحوتُ وألقاه في اليمِّ
مثل فقمةٍ هائمةٍ

إلى هرمس
وأفلاطون
ومريم امرأتك الوهابة
وأسطورتك النسوية المدوية
عبر العصور
إلى الرب الإلهِ
مخلصنا
يسوع المسيح
ابن الناصرة والطفلُ الجليلُ للسيدةِ العذراءِ
الراكب الأعزل للأتنِ
والذي لا يظهر سوى للفقراءِ
والمعوزين
وكافة خرافك الضالةِ
في براريك الشاسعةِ المتوحشةِ
والغير مأهولةِ
أنبياؤك العراةُ!!
أولئك الجوَّالون البررةُ
والمطهرونَ
لا يظفرون سوى بالطيباتِ
والبَرَكةِ
بينما نحن الآثمون والخطاةُ
لا نجدف إلا في الضلالِ
والوحل
وبلا مصابيحَ تضيء لنا حتى طرقك الوعرة هذه
مثل مجموعةٍ من الفئرانِ الضالةِ
وخُلْد الماءِ
واأسفاه!!
ما لنا من محيصْ

كُتبت علينا اللعنة
كأنما
جئنا إلى هنا
إلي العالمِ
من أجل خلاصِ العالمِ
بدون إرادة منك
أو حتى مشيئةٍ من يدك التي تخطُّ في اللوحِ
بلا محجةٍ
أو حتى أسرارٍ
كذلك
لم نكن في حاجةٍ إلى جنتك العاليةِ
ولا إلى أرضك الواسعةِ ذي الشعاب والأخاديدِ
فيما تخوفنا كلابك الضاريةُ السعرانةُ
من الجحيم المستعرْ
ونيرانك القويةِ التي تشوى الوجوهَ كالمهلِ
ماذا نفعل في مثل هذه المتاهةِ المهلكةِ
أيدينا معرّاةٌ من النعمةِ
وخالية من كل إرادةٍ
أو حسنةٍ
ولا نقف إلا على الخطأ والشر!!
جندك مسلحٌ باليقين الخالص
ولا سلام لنا
على الأرض
لتكن مشيئتك
أيها السيدُ العادلُ
ليس لنا من سلام حقيقي سوى ما تفرغه
الأرواح الشريرةُ
من صلواتٍ لا تنتهي
وأدعةٍ تشبه الركشَ والحجارةَ

على بواباتك المغلَّفةِ بالرصاصِ والسحرةِ
نجلس كالقردةِ والأفاعي
وأبناء آوى
ولا خلاص لنا
سوى ما يقوله الروحُ القدسُ من ترهات
وأكاذيبَ
لا تحمل أي أملٍ في الخلاصِ
أو النعمةِ
فيما نعوي نحن الموصومون بالخطيئةِ الأبديةِ
والخطأ الخالصِ
كالكلاب الضالةِ
عبر بواباتك الواسعةِ الرحبةِ
والتي تعجُّ بالمن
والسلوى!

نوبة صحيان

ما الذي يجعلني أنتظر
ما الذي يجعلني أنتظر الشمسَ أن تشرق
ما الذي يجعلني أنتظر البحرَ أن يمر من أمام منزلي
وقبل أن ينام
ما الذي يجعلني أنتظر الأرضَ أن تكف عن الدورانِ
ما الذي يجعلني أعلّق هذه النجوم جميعـًا
وإلى أعلى نقطةٍ
فوق سطح بيتيْ
إلى حبل غسيلْ
ما الذي يجعلني – وعندما أريد أن أنامَ –
أربطها كلها في طرْف حذائي
ما الذي يجعلني أتصيّد للسماء أخطاءَها الجمةَ

وانتصب في الشتاء عارياً
مرجّحاً كينونتي
كينونتي الزائلةَ
كينونتي الهشةَ
ما الذي يجعلني أسحب القمرَ من رأسه
لأفليه
وبعيداً عن المنحدراتِ
وقانون الجاذبيةِ
ما الذي يجعلني أنظر إلى الموتِ شزراً
وأقول له:
أيها الحصّاد الأكبرُ
مهما ضحكت
واجتهدت
فلن تأخذ مني أي شيء
سوى كومةٍ من العظام النخرةِ
والأوحالِ.

أيها الموت

يا صديقي العاطلُ عن العملْ
لأنني أعرف أولاً وأخيراً
أن الكل باطل وقبض الريح
ما الذي يجعلني أنظر وبضراوةٍ إلى الوحدةِ
وانتظر الليل في الليلِ
وفي هدوءٍ
وتؤدةٍ
أتلصص على النهار من فُرَجِ البيوت
ما الذي يجعلني أقبض على الهواء متلبساً
وأقول له

أيها المراوغُ اللصّ
لماذا تتخفى في شعرِ امرأةٍ
ما الذي يجعلني أقول للبحر
أيتها السلحفاةُ الهائلةُ
ذات الدرقاتِ
سلامًا
سلامًا
سلاه...
أيها السيدُ الغامضُ
ألم تتسلق شوارع الوحشة واليأس الجهنمية هذه بعد
ولمَ تمشي في الأرض مَرَحًا؟
ينبغي أن تتعلم السير في الطرق المنزلقةِ
والمعتمة هذه
ولو لمرةٍ واحدةٍ
كمتسول
ولاعب سيركٍ
وأعزلَ
وجامعِ قمامةٍ
وأجيرٍ
كيف يمكنك أن تكنس شوارع الغبار هذه
وبيدين عاطلتين عن العمل تمامًا
وكالحتين
تجلس على الأرصفةِ
ممدداً أرجلك الخشبيةَ
التي تشبه أرجل سرطانات هائلةً
ولابسًا عويناتك القرمزية المضببةَ
ومعداتك التي لا تعمل
من نهارات صدئةٍ
وأجولةٍ من الأساطيرِ

والحكاياتِ
لا لتعمل ومثلما يعمل الآخرون
وإنّما
لترقب المارةَ
وعابري السبيل عن كثبٍ
وهم يندفعون نحو موتهم المجاني
وحياتهم التي لا تساوي بصلةْ
وتمامـًا
ومثلما كان يفعل ملك من ملوك الهنود الحمر
وهو جالسٌ على حافة الندم
يحصى أشلاء جنوده وعدد قتلاه
بعد انتهاء إحدى معاركه الأخيرةِ
وإصابته بطعنةٍ نافذة في القلبِ
وفي نوبة صحيانٍ
طاغيةٍ
كان عليه أن يتذكرَ
كم هو عميقٌ
كل هذا الألم!!
كم هي واسعةٌ كل هذه الحفرةِ
من اليأسْ؟!

أيها الوقت

أيها الوقتُ!
هب لنا بعضـًا من الحركةِ والفعلِ
دون أن نشعر أو حتى نحس
أعطنا بعضـًا من حياتنا التي سرقناها سويـًا من الموت
وامنحنا مزيداً من البَرَكةِ
لكي نمارس رغباتنا الصغيرةَ

بحيوية جذع أعزل
وتأهب عربةٍ
تالفةٍ!!
سوف ننفّضُ الألم عن ثيابنا المتسخةِ
وبضراوة ثمرةٍ معطوبةٍ
نخلص أيدينا من ثرثرة اليوم الفارغة
وسوف نملأ جيوبنا التي اكتظت من الأسى
بحبوب النسيان الخالصِ
ونعمل كما لو كنا ملاحين
وبلا بوصلةٍ واحدةٍ في ليل أزرقَ
وبلا سماء باتجاهاتٍ
على طريق الآلام والدم
كانت حياتنا التي بلا ضغينةٍ واحدةٍ
في حديقة اليأس الخالدة هذه
زرعنا – وبكل بساطةٍ – أرواحنا المتفحمةَ
على حبالٍ باليةٍ
وأوتادٍ مكسورة
لم نسأم من الوحدة الضريرةِ
أو حتى نكرهها
بل على العكس من ذلك تمامًا
تعاملنا معها بطيبة قلبٍ وحيويةِ
خلْدٍ أعمى
ولا مبالاة نرد!
لم نسأل عن وضعنا الإنساني المرتبكِ
كلا
بل تقبلنا كل ما يأتي به القدرْ
كأنه نوعٌ من الاختيارِ الحميمِ
أو الرغبة الحاسمةِ
أيها الوقت!

لم يمهلنا الوقت حتى
لنمسحَ عن دموعنا كثيراً من العَطَبِ والأعاصيرِ
أو نجفف بعض ضحكاتنا
التي ضربتها الشيخوخةُ المبكرةْ!!

شاعرٌ

بلا نياشينَ حقيقيةٍ أُمضي حياتي
مثل ملك مخلوعٍ
بلا تذكارات
أو حتى أكاليلِ غارْ
أعمل مثل درقةٍ
مشوهٌ
أعمى
وأصمُّ
أحيانًا أقول لنفسي في محاولةٍ يائسةٍ لانتشال روحي الميتةِ
من الوهدةِ
إنني شاعرٌ
شاعرٌ وكفى
من ذا الذي سيهتم
الجميعُ قد غادروا منازلهم وربما أرواحهم كذلك
البعض قد ذهب إلى البحر
البعض قد ذهب إلى الخارج للعملِ أو للدراسةِ
البعض الآخر قد فضّل الموتِ
على حياةٍ كهذه
ولأن الجميع قد يفكر في السيارةِ
والمرأةِ الجميلةِ
مثلما يفكر في الحذاء
وأسعار العملات

أقول لنفسي:
علينا أن نعمل – يا روحي التعسة – مثل حيواناتٍ ميكانيكيةٍ
بقوة الجاذبيةِ
وحركة الطبيعة العمياء
بلا هدفٍ أو حتى أملْ
الوجودُ
والموتُ
التوحّدُ اللاإنساني
والسلامُ
التعاطفُ
والرحمةُ
الأمُ – الآبُ – والروحُ القدسُ
كلها من مخلفات الذاكرةْ
مثل بيتٍ بأنقاضٍ
وبلا ذكريات
الخيرُ
الشرُ
علامتان إنسانيتانِ فقط
الموتُ
هو هدف الحياةِ النهائي
وربما الأكيدُ
كذلك.

أحجار

على حافة روحي الجريحةِ
روحي المتوحشةِ
المرحةْ
تنبت هذه الأحجارْ

حجرٌ أسود للموت
حجرٌ أبيض للذكرى
حجرٌ أحمر
للدم
حجرٌ أزرق للأحلام
حجرٌ أخضر
للنسيانْ
ترى
أي شيءٍ يمكن أن ينتزعه الموتُ مني أنا البحّارُ الأعمى
وبعد أن أكون قد ألقيت بكل هذه الأحجارِ التي تعملُ
أسفلَ السماءِ التي تنحدرْ.

احتفال من أجل لا أحد

(1)

سأحتفلُ بالأرضْ
لأنني أومن بالريح
سأحتفلُ بالريح
لأنني أومن بالأرضْ
(2)
المنجلُ الذي يحصدُ
الزمن الذي يقطّع ويشرِّحُ
الحياة التي تنعم باليأسِ
والأملْ
الفعلُ
واللافعلْ
وجهٌ متغضن
لحياةٍ شبهِ

جامدة!!

(3)

سنواتنا التي تشبه أنهارَ الملح الجافّ
أنهارنا التي تشبه الظمأ والنسيانْ
كلماتنا المشبعة بالندم
والسوادْ
نخلاتنا التي تنبثق وبضراوةٍ من الدم
أرواحنا المكللةُ بالشوكِ
جراحنا التي تشبه الحصى
احتفال من أجل لا أحدْ.

(4)

آهِ
تلك الهبَّةُ التي للجذرْ
الإطلالةُ الغريبةُ لأغنيات الموتى
الوجهُ العظمي للزمنْ
الصوتُ المدوي للعدمْ
احتفالٌ من أجل لا أحد.

(5)

الذي يبصر الحزنْ
الذي يدرك الألم الحقيقيَّ للوردةِ
الذي يبصر الندمَ الأكيدَ في الأصابعْ
الذي يعرف حكمة الخلاصِ
وحقيقة النعمةِ
الذي يقول عن الهواء:
إنه النشيد الحيّ عن الظفر الإنساني والموت في النهايةِ
كل ذلك
احتفال من أجل لا أحدْ.

(6)

حتى الهواء نفسه

وهو يحتاج بين الحين والآخر إلى التفسيرِ الإنسانيِّ
الأقل كمالاً من الموتِ
لكي يلعب الزمنُ على بندولهِ الخالصِ
وتعزف الروحُ
على سلّم التناقضاتِ
احتفال من أجل لا أحد
(7)
الربيعُ
بأبهته وأنامله الملونة بالفراشاتِ والشوك
السماء بأنفلاتتها المدمرة للاشيء
الحصى
بصراخه المرنّ
والمنبعث بضراوةٍ من الغسق
حركة الأذرعِ
وتكامل اليدْ
ترنيمة الخلاص
واختلاجة العدم
أوانٍ لطبوغرافيا المكان
واحتفال من أجل لا أحد.

طراد

العقلْ
آه
تمكنتُ منك أيها العدميْ!!

طريقة أخرى للحياة!

سأسكن في هذه الناحية من الألمْ
حيث تسكن صديقتي الحياةْ

سوف يكون للهواءِ أنبوبةً ماصةً تسمى الرغبةْ
حيث تأتي الريح مترجلةً
ثملةً
وأقول لها: آهِ
يا حناناتي الضائعةُ
سوف يكون اللهُ صديقـًا ليْ
ولا يسبب ليَ الخوف من النار
أو الجحيم المستعرْ
من حممهِ التي لا ترحمُ
وثوراته المدمرة
من براكينه التي لا تتوقف
وزلازله التي لا تهدأ
من عواصفه الهائلة
وطوفاناته
وسوف أتآلف مع الموتِ
في صداقاتٍ
وتحالفاتٍ
ولا يعود الموتُ – هذا الأخطبوطُ الماهرُ بشبكاتهِ الكهربائيةِ
وأفعواناتِهِ –
يشكل تهديداً خطيراً
ليْ
عندئذٍ
سأضع يديّ في جيبي كمتسولٍ
وعابر سبيل
ولا أعبأ بطاحونة العالم هذهِ
وسأنتصب مثل قارةٍ
غارقةٍ
وأضع الشمس في يميني
والقمر في يساري

وأتناول طعام إفطاري المطعَّم بالإثمِ والبراءةِ
مع كل أصدقائي المنسيين
من القطط الضالةِ
وكلاب الشوارع
وعلى مائدةِ الوحدة
المسننة هذه
أتأمّلُ الفراغَ
بعينٍ منجرحةْ!!

عن سيرة حياة رجل تافه

أنا رجلٌ تافهٌ بما يكفيْ
لم تنفعني حياتي الماضيةُ بشيء
ولم يتقرر مصيرُ خيباتي بعد
نزيل خمارات سابق
وصديق دائمٌ لمستشفياتِ الدرجةِ الثالثةِ وكذلك
لنوبات الجنون
والصّرع!!
أنا أستاذ وأبله
فقيه في علم الروث الكوني
وصديق دائم لسقراط
مقامرٌ ولا أملك سوى أزرار بنطلونيْ
وفردتيْ حذاءٍ من مخلفات حربٍ كونيةٍ سابقة
لم يقل لي أحدُ ما هي الحياة
وماذا يحدث بعد الموت
أصاب بالزكام لمجرد عبور امرأةٍ على سطح الذاكرةِ
أشعر بالأمراضِ الجمةِ وأتعلل بالأوجاعِ
حتى لا أذهب إلى العمل اليوميّ مثل حمارٍ بعوياتٍ
في الحماماتِ العامةِ

أصاب باسفكسيا الغرقْ
وأبصق على كافةِ الجماهيرِ البلهاءِ التي لا تعرف غير معنى واحدٍ للحياةِ
أبولُ بضجرٍ
وحميميةٍ على كافةِ النظمِ السياسيةِ والديكتاتورياتِ
أكاد أنتشي حماساً لإحساسي الدائم بالعبثِ واللاجدوى
أنا رجلٌ تافهٌ بما يكفي
أتقلب في فراشي مثل رجلٍ مصابٍ بالصَّدَفيةِ
ومثل درقةٍ
أحلم بالشيء
ونقيضه في نفس الوقت
أتوقف أمام كافة الشوارعِ
وأقول:
يجب عليّ أن أجلس على كافةِ الأرصفةِ المعاديةِ
– دعوني أحيي هذه الأرصفةَ التي كلّت من الوطء –
أرفع تحياتي الحارَة للشمسِ
وأقول:
أنا الكائنُ العابرُ بشكل غير منتبهٍ ولا إنساني
كل امرأةٍ تعبر من أمامي ألمحُ تحت ثوبها جسداً يتكلمُ
أو أسداً يزأرُ
كل نجمةٍ تظهرُ
أو تختفي
تكون بمثابة روح ضالةٍ أو عينٍ شريرةْ
كل قمرٍ يضيء – هو بالتأكيد – نسيانٌ أخيرٌ لرائحةِ الموتِ
كلما أتوقف لأتذكر اسمَ شارعٍ
تهبط على رأسي حمامة ضالةْ
كلما أنحني لأربط حذائي
تسقط مني دمعةٌ متآكلةْ
أنا رجلٌ تافهٌ بما يكفيْ

اللايقين يصير حقيقياً لمجرد أنني أفكر فيه
المادة تتحول بين أصابعي إلى الآب والابن والروح القدس
كافة المحسوسات تتحول إلى اللامحسوسات
الميتافيزيقا تنتقدُ كل فلسفة الأبعادِ وفلسفة اللاأبعاد
وتخترع لنفسها ميتافيزيقا جديدة
العالم يستحيلُ إلى مائدةٍ من وسخاتٍ
ومجموعةٍ من الكلاب الضالةِ
وقطط من الفخار
المضمحلْ
في الطبق الذي أتناول فيه طعام إفطاري
تسقط كافة ذكرياتي الميتة والحيةِ
على السواء!!
أنا رجلٌ تافهٌ بما يكفي
لعدم درايتي الكاملةِ بقوانين الدولةِ الاستثنائيةِ
وألاعيب رجال السياسةِ الوقحةِ
والتشريعات العجائبية الغريبة عن مجمل الخير والشرِّ
ورفع أسعار الفائدةِ
وزيادة معدلات البطالة أو التنمية
وانتشارِ الفقرِ في العالمِ
وزيادة معدلات مرض الإيدز
ولماذا ظلّ الرجلُ الأبيضُ هو السيد وبامتياز
على كافة العصور
ولماذا ظلّ الرجل الأسود هو العبد وبامتياز
على كافة العصور
هل كان الله منحازاً للرجلِ الأبيضِ – وطوال الوقت –
إلى هذا الحدّ
أم أنها الصدفةُ الغيرُ مبررةٍ ولا منطقيةٍ
أنا رجل تافه بما يكفي
أقرّرُ السير في هذا الاتجاه

فأكتشف أنني أسيرُ في اتجاهٍ آخر
أقرّرُ
عدمَ الكلام مع أحدٍ البتة
فتنفجر كل خلية – فيّ – بالضحكِ
أتطلع من فوّهة غرفتيْ
نحو قبة السماء الصافية فأرى القمر ينظر لي
بنصف عين والنجوم تتبول في تلك الناحية من الجسر
أجلس على الأرصفةِ
ودائمـًا ما أجلس على الأرصفةِ فأرى الشمس أرنبـًا
والقمرَ فأراً
وبقوة الرغبةِ في الحياة أواصل السيرَ
والتفكيرَ في اللامفكَّر فيه
لا أدري لماذا ودائمـًا أفكر في اللامفكَّر فيه
فأصاب بالشلل التامِ
وتتوقف كافة خطوط مواصلاتي
وأفقد الثقةَ في العالم
وأنهارُ على أول رصيف مقابلْ
أحيانـًا تنتابني الرغبةُ الملحةُ في أن
أُخرج عضوي لكل شيء في العالم
وأبول على كل شيء
وأقول إلى الجحيم لكل هذه المهزلة
الأرضية!!
يا لها من مسرحيةٍ فجةٍ
اللهُ والشيطانُ
وأنا بينهما
مثل كرةٍ البلياردو
يا لها من حفلة تنكريةٍ
وميتافزيقية كذلك
لا تكاد تنتهي إلا لتبدأ

ولا تبدأ إلا لتنتهي
في اللحظةِ الواحدة أكون الشيءَ ونقيضَهُ
غالبًا
ما أرتكن على الرصيف لأرقبَ حركةَ الشارعِ العضويةَ
وهي تنقبض وتنبسط مثل رحمٍ
بألف فمْ
لم لا أقول:
أن هذه السماء صندلْ
وأن هذا الليل
جورب بثمانيةِ أزواجٍ
لم آتِ لأقلق أحداً
فقط
أقلقت روحي الجريحة
أنا سائق العربة المعطوبةِ
لست أكثر من دودةٍ تسعى على الأرضِ
و 70 كيلوغراماً
من اللحم المخلوطِ بالعظمِ
والمخاطاتِ!!

نوبة حراسة

سنواتنا الأكيدةُ التي أنهكها الألمُ والوحشةُ
سنواتنا التي تئن مثل حصاةٍ
ناتئةٍ
في منجرف سيلْ
سنواتنا التي نربطها في صخورنا الكثيرةِ
التي تنحدر نحو الأملِ واليأسِ عبر الندم والكراهيةِ
لا لنتخلص منها تماماً ونهائياً
ومثلما نفعل بكومةٍ من الأنقاضِ

والتناقضاتِ
بل لنِركنها إلى حائطِ العزلة الضخمِ
ونقف إلى جوارها مبللين بالفجيعةِ الخالصةِ
ومشدوهين بالألمِ الخالصِ
كتذكارٍ أكيدٍ ونهائي
على صيحاتِ الظفرِ والنصرِ
وصرخاتِ الهزيمةِ المروعةِ إثر معركةٍ خاسرةٍ
سوف نقولُ لأنفسنا أخيراً وفي نهاية الأمر
أن البطولة الحقيقيةَ تكمن
في أن نقف على بواباتِ اليأسِ
وبضراوةِ جنديٍّ أعمى
على أسوار تلك القلعةِ
إلى أن تنتهي
تلك النوبةُ اللعينةُ من الحراسةِ!!

حماقة التفكير في شيء ما

أن تجلس في حديقةٍ ما على مقعدٍ شاغرٍ وكأنك أحد المتسولين
العظام في انتظار أن تتزحزح السماء قليلاً أو أن ترتكب حماقةَ التفكير
في شيء ما كأن تدفع يدك في جيبك لتتأكدَ من جاذبية
الفراغ الذي تحتفظ به – ومنذ سنوات – لا يزال موجوداً
وأن كمية القصائدِ التي كتبتها في حياتك لا تكفى بالكاد
لشراء تذكرةٍ واحدةٍ لمرحاضٍ عموميّ ناهيك عن قضاءِ
ليلة واحدةٍ في سرير امرأةٍ جميلة عندئذ – وبدون إرادةٍ منك –
سوف تمدد رجليك وكعادتك دائمًا في مثل هذه الحالات الحرجة
ستقول: فليذهبْ العالم إلى الجحيم وسوف تأخذ في متابعة
مجموعةٍ من الفراشات المتناثرة في الحديقة وعلى قيد
ذراعٍ منك وتتذكر أسرابَ البقر الوحشي والماعز الجبليّ
أو ربماً تتصور كذلك أن السماء – وبلعبةٍ ذكيةٍ جداً – لا تكرر

نفس المشهد ربما للمرة الألف وأنها – أي السماء وهي عادلةٌ بما يكفيْ – وبدلاً
من أن ترسمك جالسًا على مقعدٍ في حديقةٍ شاغرةٍ كأحدِ
المتسولين العظام سوف تضعك هذه المرة فوق محفةٍ
لإحدى الحورياتِ وأن السماءَ قد أخذت تضحك
بملء فمها لا لشيء إلا لأنك وقد نبتَ لك جناحانِ أبيضانِ
قد أصبحت نورسًا.

يا سقراطي الحبيب

والآن
ماذا تعملُ يا سقراطي الحبيبْ
لا شك أنك عاطلٌ عن العمل تمامًا مثلى أو ربما
تجمع كراريسك تحت مخداتك التي صنعتها من رمادٍ وقشٍ
وتنام متأرجحًا ما بين حقيقةِ الموتِ
واليقظةِ
هل تنظف شوارع أثينا المبخرةِ بالزمن
وتكتب على عجيزة الهاوية:
لا شيء يفنى
ولا شيء يستحدثُ من العدمْ
أعرف أن زوجتك السيدة المرحة الجميلة تنام شبه عاريةٍ
إلى جوارك في ليالي الصيف الخانقة الحرِّ
رغم ما بينكما من خياناتٍ
وضغائن
هل تشعلُ لك مصباحك الأجردَ
أم تكنس الأفكارَ التي تتوارد على رأسك بالمقشات
ومثلما تنظف عتبةَ البيت
تنظف رأسك من الصئبان
والقمل
كعملٍ رئيسي من أعمالها اليوميةِ

يا لروعة الحظِّ!!
يا لتلك الحياة التي تجلب لك الدعةَ
واللامبالاةَ
على حجارةِ أثينا الماطرة السوداء
يا لتلك السماء التي تخيط كلماتك
بإبرة المجد الصافية
وتحيطك بعينين إلهيتين!!
هل تربط حمارك الأثيني – أمام عتبة الدار –
وتقول لتلاميذك:
امكثوا على بوابة مينيرفا
ريثما أتخفف من ملابسِ النومِ
وأغسل حنجرتي
بحجر النسيان!!
الزمن نغمةٌ يائسةٌ في حياةٍ غير كاملةٍ
أو مبررة.

نقَّـاد

ماذا سيقول هؤلاء النقادُ عني
سيقولون:
حاول أن يكتب عن الوردةْ
فاخترع بيتـًا
حاول أن يلتقط نجمةً بائدةً فأمسك خشبة
حاول أن يسكن مع الريحِ في حديقةٍ واحدةٍ
فنام على الأرصفةَ كالحلزونْ
حاول أن يكتب عن الحبّ
فأمسك حجرةَ الشك هذه
حاول أن يتأبط ذراع الليل البردانْ
– ويأخذه إلى بيته في المنحدراتِ ليدفئه –

فأطلق نجمة بائدة
حاول أن يختصر الليل كله
في كلمةٍ واحدة
فجز عنقه!!
ماذا سيقول كل أولئك النقاد عني
بكل تأكيد سيقولون:
أصابه الألمْ
من فرط ما سكن مع اليأسِ
في سلةِ مهملات.

ديكتاتور

أعرف أنك ترقدُ الآن بسلام
بلا إيماءةٍ واحدةٍ أو حتى تعبير عن الفرح أو الحزن
رغم ما تملك من إمكانياتٍ لا نهائيةٍ على إدارة دفة حياتك
الجديدة بين ملايين الأحلام التي تأتيك
ولا تملك القوة المناسبة على إظهار
فرحك أو ضيقك يأسك أو رجائك
فقط تستقبل الأحلام بعينين باردتين تمامًا وذراعين
لا مباليتينْ
وبينما ترقد ممدداً رجليك فإن عينيك الأليفتين
قادرتان على اختراق كافة الحجبِ
وذلك رغم رطوبة المكان!!
تستطيع على الأقل أن تنظر بكثافةٍ إلى السماء اللامتناهية
وأن تحدق جيداً في النجومِ
المرصعة بالضوءِ
ربما يمكنك كذلك أن تفكر بجديةٍ في
أن ترشح نفسك كرئيسٍ للجمهوريةِ العظمي
أو لقيادة صف من الملائكة الصغار

وطابور طويل من العبيد والمستضعفين بدءاً من
كنفوشيوس وانتهاء بماركس
و تروتسكي وحتى المسيح نفسه
كما يمكنك وفي الآن نفسه أن تقيم في أفخم البنايات
محيطًا نفسك بجيشٍ كاملٍ من اليأسِ
ربما تعرف كيف تحرر كثيراً من البلدان والمدن
التي لم تقم أصلاً بزيارتها
ولم تفكر لمرةٍ واحدةٍ في أن تقوم بزيارتها
إلا برؤيتك لها على أطلسِ مدرستك الابتدائية
كيف يمكنك وفي النهايةِ أن تتحولَ إلى جنرالٍ بكاب عسكريّ أنيقٍ
وديكتاتورٍ يمسك بعصا المارشاليةِ
لتقفِ في مواجهةِ القصائدِ الجديدةِ
موقف الحاكمِ بأمر الله؟!

مجرد ملاحظات

لم يعد لنا غير عادة التبول الإرادي واللاإرادي
القلب أشد اخضراراً من سماءٍ كهذه بلون القرفة
الشاعر له عملٌ واحدٌ فقطَ
الضوءُ دائمًا وأبداً
خطايا الليل
نحن نعرفها بسيماها
ودائمًا
ما يكسوها النهار بتشوهاتهِ وألاعيبهِ
الربيع
يكنس الخريف دائمًا
بأيامٍ من فضةٍ
وأيدٍ من ذهب محروق ولمّاعٍ كذلك
المرأة التي نحبها كثيراً ما تخونُ حتى القمر

نفسه
الموتُ
بأوردتهِ المدببةِ وسكاكينه القويةِ
يأخذ شكلَ بخار الفناجين
ورائحةَ غرف النومِ
وحوائطَ المستشفيات
وسارينات
عرباتِ الإسعافِ المسرعةِ
في لعبة الطاوِ
القاتلة هذه
كانت تلك
مجرد ملاحظاتْ
قد يكون المكسب الوحيدُ هو نفسه عين الخسارة الوحيدة
وجهان لعملةٍ واحدةٍ
اسمها الحظ
كثيراً ما تبدأ الحياةُ الحقيقيةُ وعندما يأخذنا الزمنُ
بأياديه التي لا تعرف معنى الموت حقـًا
فجأة
قد نكتشف أن الزمنَ
مثل بيت بعنكبوت
له نفس الملمس
وطعم رائحةِ
الخطأ
بحريرهِ الملتبسْ
ما هي حقيقةُ المرأة
إن لم نكشف عن حقيقةِ المرآة
في الليلْ
وحينما تتمدد الوحدة بجانبي
– مثل خلد أعمى –

أتفرس في أنيابها الشرهةِ
وأقولُ:
وداعـًا لواقعيةِ العالمِ.

صديقي الراحل العزيز

إلى
س.ح في مثواه الأخير

وهكذا
انتهت حياة الراحل العزيز
صدفةً
على الأرض
انتهتْ
لم يقل حتى لأصدقائه الوداع
فقط صعد وحده درجات السلم بتؤدةٍ
وثقةٍ
كان يرى أن الحياةَ مثل زهرة النرد
لعبةٌ من ألعاب الحظ الماكرةْ
أدمن على مطاردة النساء خاصةً الصغيرات منهن
وكان يرى أن المرأة الحقيقية تشكل الحقيقة الغامضة لبناء هذا الكون
جاب الصحارى بحثـًا عن لقمة العيش
خطط طويلاً لمدن كان يعرف أن أحداً لن يسكنها من بعده
عبأ لفافاتٍ من ورق الجرائد تحت وسادته
وقال:
إنه سوف يتفرغ يومـًا ما لقراءتها
ومتابعة ألاعيب رجال السياسة والحكم
ما الذي جعل صديقي الراحل العزيز
يسكن هناك
على الحدّ الأقصى من الحياةِ

أهي لعبةُ الحظِّ الخادعةُ أم قدره السيئ الذي كان يخبئه في أحد جيوبه
التي تمتلئ بزهرات النرد
الجالبة للحظّ
وحده
كان يرى أن البورصةَ
وتجارةَ الأراضي
والسمسرةَ
وأوراقَ النقدِ
وتجارةَ العملةِ
والبنوكَ
وعملياتِ الاستيرادِ والتصديرِ
هي آلهةُ العصر الحديث بلا منازعٍ
وأن لعبةَ الحياةِ ما هي إلا الاستثمارُ الأمثلُ لكل تلكَ الآلهة الجديدة
بذكاءٍ
وخدعةٍ
صديقي الذي مات وحيداً
بلا دمعة واحدةٍ من أحدْ
أكتشف أن زهرة النرد الوحيدةَ التي كان يحملها بين يديه
لكي تجلب له الحظّ
لم تكن تحمل أية أرقامْ؟!

أصول الفن المرعيّة!

ما الذي يمكن عمله في هذه الساعة من الظهيرة الكاويةْ
أحاول أن أكتب قصيدةً جديدةً وتشبه هذه السماء
أو مؤخرة تلك المرأة
أفتش في الغيوم التي تنطفئ على الساحل
عن جملةٍ – واحدةٍ – تشبه هذه الحديقةَ أو حتى شكل بنطلونْ
أبداً

لم تكن هذه الموسيقا الصاخبةُ مثل لوحة تيسارو
– منحوت من خشب محروقٍ
وصندل أنا –
أعمل مثلما يعمل قارعو الحظّ التعساء
وأنظر إلى السماء الواطئةِ ببلادةٍ وبطءٍ
لا شيء سوى ذبابة ميتة!!
أعود من رحلتي النهاريةِ وقد تبددت قوايَ
أحلم بنصف عين
واعٍ
وأهجر حنانات نفسي
خائب وأحلم برئاساتٍ
في حجرتي الـ متر في متر ترقد كافة أحلامِ العالمِ الميتةِ وكوابيسهِ المحنطةِ
بدءاً من ضفادع أريستوفان وأشعار
ايسخيليوس وفرجيل
ومروراً بأرسطو وأفلاطون
وانتهاءً بالتكعيبيةِ والتفكيكيةِ
ومايكل جاكسون
وشعراء البيتلز المبجلين
وحركة ما بعد الحداثة في الفن
سددت طعناتٍ غادرةً إلى كافة الإمبراطوريات السالفةِ
وأطلقت الرصاص على كل الرؤساء السفلة ثم
أقمت ممالك من قش ونشارةٍ
وأحييت جمهورياتٍ بائدة
أحلم بنصف عين
واعٍ
وأهجر حنانات نفسي
من يعبأ بي إن كانت حياتي تساوي بصلة
أو حتى فردتيْ حذاء
لم لا أسوي حياتي مع هذا العالم التعس

غداً
أو بعد غدٍ
سوف يأتي شاعرٌ آخر ليقول:
حقـًا!!
لقد كان شاعراً عظيمـًا
ولكنهُ
لم يلتزم بأصولِ الفنِ المرعيةِ.

بطالة

الآن
وبعد ثلاثين سنة من العمل اليومي
ومخاطبة الجمهور كأحد الثيران الجريحةِ
أنا عاطلٌ عن العمل!
فجأة
اكتشفت أن حياتي كانت جزءاً من مؤامرةٍ كاملةٍ
وأن الوقت الذي أمضيته في الدوام
وتحت علم الدولة الرسميّ
ذي الشعارات الثلاثة
الأحمر
والأبيض
والأسود
كان يكفى لإصلاح ثلاث عربات كارو
وشراء حمارين منكودي الحظ وبالكاد عكاز لمتسولٍ وضرير
لقد كان يتعين علىّ
أن أدور على كافة صناديق القمامة
لأجمع أعواد الكبريت الملقاة على جانبي الطريق
وبقايا الزجاج المكسور
وقطع القماش الدبقة

لأحصل بالكاد – وفي نهاية الأمر – على ما يسد الرمق
ويقيم الأود
الآن!
وبعد ثلاثين سنة
أنا عاطل حتى عن العمل
عاطل عن الإرادةِ
والفعلِ
عاطل عن الأمل
واليأس
عن ممارسة الحب بشكل طبيعي
تمامًا
وكما تفعل أحقر حشرة في هذا العالم.

شـاهدة

إلى محمد آدم نفسه
[أمس
وارياه الترابَ
وأهلنا فوقه الآلافَ من الذكرياتِ الشائكةِ
تلك التي خلَّفها وراءه مثل خطيئةٍ منذورةٍ
وكوَّمنا فوقه الحصى
وما كان بوسعنا أن نفعل أكثر من ذلك حتى لو أردنا
وفوق شاهدة القبر الأخيرة
كتبنا هذه الكلمات:
هنا يرقد الكلبُ بن الكلبِ: فلان الفلاني
لقد أفنى في حياته عشر نساءٍ على الأقل
وما يقرب من نهرٍ صغيرٍ من الخمرةِ الرديئةِ
وبعض زجاجات البراندي المغشوشة
– والتي أصابت أحد شعراء السبعينيات بالعمى –

وما يقرب من صيدليةٍ كاملةٍ من حبات الأسبرين
والفاليوم
هذا غير ما أتلف من سنواتٍ كاملة
وهو يدافع عن قصيدة النثرِ
والصراعِ الطبقيّ
وحروبِ العالمِ الثالثِ
والأصولياتِ
والنظامِ العالمي الجديدِ
والجنسانية فِي التراث العربي القديمِ
لقد سمح لنفسه بالتبول على العصر
ولأنه كان علّامة في علم الباه
وسيد التناقضات بلا منازع
فلقد أصر على إحراق جثته
ثلاث مراتٍ
وضربها بالجزم
حتى تفقد الوعي
وذلك بدلاً من دفنها في مقابر الصدقة
كما أوصى بذلك في توجيهاته الأخيرة
سيدي الكلب بن الكلب:
لا شك أنك تضحك الآن في مثواك الأخير
رغم ما بيننا من حجارةٍ
وترابٍ
وموتٍ
وكذلك الآلاف من الذكريات الشائكة].